الإذاعات الأهلية في الإسكندرية.. لماذا تختفي؟ ما سبب اختفاء الإذاعات الأهلية في الإسكندرية؟

Pourquoi les radios locales disparaissent à Alexandrie ?

Noha Atef

Édition électronique

URL : <https://journals.openedition.org/ema/3856>

DOI : 10.4000/ema.3856

ISSN : 2090-7273

Éditeur

CEDEJ - Centre d'études et de documentation économiques juridiques et sociales

Édition imprimée

Date de publication : 28 février 2018

Pagination : 218-238

ISBN : 2-905838-96-5

ISSN : 1110-5097

Référence électronique

Noha Atef, « الإذاعات الأهلية في الإسكندرية.. لماذا تختفي؟ », *Égypte/Monde arabe* [En ligne], 17 | 2018, mis en ligne le 28 février 2020, consulté le 07 juillet 2022. URL : <http://journals.openedition.org/ema/3856> ; DOI : <https://doi.org/10.4000/ema.3856>

- Abdulla R., 2014, *Egypt's Media in the Midst of Revolution*, Washington, DC, Carnegie Endowment for International Peace.
- Abu-Lughod L., 2008, *Dramas of Nationhood: The Politics of Television in Egypt*, Chicago, University of Chicago Press.
- Al-Ahram Weekly, 2003, *Public-private waves: Are Egypt's newest radio stations really private?*, [Online] Available at: <http://weekly.ahram.org.eg/Archive/2003/644/eg9.htm> [Accessed 24 September 2017].
- Alexander A. & Aouragh M., 2014, "Egypt's Unfinished Revolution: the Role of Social Media Revisited", *International Journal of Communication*, Volume 8, pp. 890-915.
- Benchouia T. A., 2015, *Festivals: the culture and politics of Mahraganat music in Egypt* (Doctoral dissertation).
- Boyd, D. A., 2004, Arab world radio. Museum of Broadcast Communications Encyclopedia of Radio, 1, 87-89. Retrieved from: <http://search.ebscohost.com/login.aspx?direct=true&db=ufh&AN=20983537&site=ehost-live> [Accessed 24 September 2017].
- Crook T., 1998, *International Radio Journalism: History, Theory and Practice*, Routledge.
- Fraser C. & Estrada S.R., 2001, *Community Radio Handbook*, UNESCO.
- Frishkopf M., 2010, *A History of Music and Singing on Egyptian Radio and Television*, Cairo: American University in Cairo Press.
- Gallup, Broadcasting Board of Governors (working paper) 2013, Washington D.C., United States. Retrived from: <https://www.bbg.gov/wp-content/media/2014/03/Egypt-research-brief.pdf> [Accessed 19 December, 2017].
- Herrera L., 2012, "Youth and citizenship in the digital age: A view from Egypt", *Harvard Educational Review*, vol. 82, no 3, pp. 333-352.
- Hirschkind C., 2006, *The Ethical Soundscape: Cassette sermons and Islamic counterpublics*, Columbia University Press.
- Rinnawi Khalil, M.I.A.N.D.a.N.M., 2011, *Arab Media: Globalization and Emerging Media Industries*, Cambridge: Polity Press.
- Kuttab D., 2012, "Why the Arab World Needs Community Radio?", *Arab Media & Society*, Fall(16), [Online] Available at: <http://www.arabmediasociety.com/?article=799>, Accessed 24 September 2017.
- Ministry of Communication and Information Technology- Arab Republic of Egypt, 2015, *Measuring the Digital Society in Egypt: Internet at a Glance*, Ministry of Communication and Information Technology.
- Rahman H. M., 2010, *Women, Regional Radio, and Development: The Role of North Upper Egypt Radio in the Struggle of Females towards Development in North Upper Egypt*, Master dissertation, Cairo, American University of Cairo, [Online] Available at: <http://dar.aucegypt.edu/bitstream/handle/10526/717/2010jrmchaidimkabdelrahman.pdf?sequence=1>, Accessed 24 September 2017.
- Sakr N., 2013, *Transformations in Egyptian journalism*, New York, IB Tauris.
- Street S., 2002, *A Concise History of British Radio, 1922-2002*, Tiverton, Kelly Publication.

- شلبي، حلمي أحمد (1995) كتاب (تاريخ الإذاعة المصرية - دراسة تاريخية: 1943-1952)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- صدّيق، رامي عطا (2015)، الصحافة الإقليمية. الماضي. الحاضر. المستقبل. القاهرة: دار العربي للنشر والتوزيع.
- عامر، فتحي حسين (2011) كتاب (وسائل الاتصال الحديثة من الجريدة إلى الفيس بوك) دار العربي للنشر والتوزيع. القاهرة.
- عصمت، أحمد (أحد مؤسسي إذاعة محطة الرمل)، مقابلة بتاريخ 8 أبريل/ نيسان 2017.
- عبد العزيز، أماني فاروق: «استخدامات الشباب الجامعي للإذاعات المصرية التي تبث على موجة والاشباعات المتحققة منها» رسالة ماجستير، جامعة القاهرة - كلية الإعلام- قسم الإذاعة والتلفزيون، 2015.
- فتحي، محمد (1984) كتاب (الإذاعة المصرية في نصف قرن: من 1943 حتى 1984) دار الأهرام للنشر والتوزيع، القاهرة.
- فؤاد، محمد (مؤسس إذاعة فريسكا)، مقابلة بتاريخ 24 أبريل/ نيسان 2017.
- مصطفى، نسمة (2015)، «ترام وحريتنا وجرامافون».. قوانين البث والتمويل والملكية الفكرية تحاصر «راديو الإنترنت». جريدة المصري اليوم). نسخة أليكترونية مستعادة بتاريخ 7 يونيو/ حزيران 2017 من: <http://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=30042015&id=7bff18da-b7fa-4123-b4f6-8b900c6a65c2>.
- مندل، طوبي وياسر، وعبد العزيز وعلام، رشا وعبد الفتاح، فاطمة الزهراء وإبراهيم، محمود هاني (2013) تقرير: تقييم كلي تطوير قطاع العالم في جمهوريه مصر العربيه باعتماد مؤشرات تطور وسائل الإعلام والاتصال، منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة.
- يحي، محمد (25 ديسمبر/ كانون ثان 2015)، كيف أخضعت الدولة موجات ال«إف إم» للسيطرة. موقع (مدى مصر). (تاريخ الزيارة: 24 سبتمبر/أيلول 2017) <https://goo.gl/bKcsEn>.
- مرزوق، يوسف يعقوب: «الإذاعات الإقليمية في الدول النامية» رسالة ماجستير، القاهرة: جامعة القاهرة - كلية الإعلام- قسم الإذاعة والتلفزيون، 1977.

قائمة المراجع

- أحمد، أميمة سيد (7 فبراير/شباط 2017). الإذاعة المصرية .. تاريخ حافل بفنون المعرفة والتنوير (دراسة محلية). موقع الهيئة العامة للإستعلامات (تاريخ الزيارة: 24 سبتمبر/أيلول 2017)
<http://www.sis.gov.eg/Story/134130?lang=ar>
- الشبكة العربية لدعم الإعلام، تقرير: قصة راديو الإنترنت في مصر: الخبرات والمستقبل، موقع (الصوت الحر) تاريخ النشر: 15 يوليو/ حزيران 2017 <https://goo.gl/4AV6Ww> (تاريخ الزيارة: 24 سبتمبر/أيلول 2017).
- العبد، عاطف عدلي (2001)، (31 مايو 1934: بدء الإذاعة المصرية)، جريدة (الأهرام) العدد 41814 السنة 125 الصفحة 6. تاريخ النشر: 31 مايو/أيار 2001.
- الغيثاني، انتصار (2017)، الإذاعة تستعد لرمضان بـ150 ألف جنيه و«راديو النيل» ينتظر «الوكالات»، جريدة (الوطن) العدد 1384. نسخة أليكترونية مستعادة بتاريخ 7 يونيو/ حزيران من صفحة: <http://www.elwatannews.com/news/details/2073211>
- الجهاز المركزي للتعبئة والاحصاء، بيان صحفي عن اليوم العالمي للسكان <http://www.capmas.gov.eg/PEPO/38.pdf>. (تاريخ النشر 9 يوليو 2011 ، تاريخ الزيارة 16 أبريل 2012)
- المهدهوي، هدير (9 أكتوبر/ تشرين أول 2013)، إذاعات الإنترنت في مصر منفذ بديل لمحتوى خارج عن المألوف. جريدة (السفير العربي). نسخة أليكترونية مستعادة بتاريخ 24 سبتمبر/أيلول من العدد 260 2017 من: <http://arabi.assafir.com/Article/25/3662>
- برهام، وليد (15 فبراير/شباط 2013). صفحات من تاريخ الإذاعة - نشأة الإذاعة المصرية. جريدة (دنيا الوطن) نسخة أليكترونية مستعادة من صفحة بتاريخ 5 يونيو/ حزيران 2017 <https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/293706.html>
- بوابة الوفد (2016)، على مسئولية رئيس الإذاعة ميزانية دراما رمضان الإذاعية «صفر»، البوابة الأليكترونية لجريدة (الوفد)، مستعد بتاريخ 7 يونيو/ حزيران 2017 من: <https://goo.gl/E3zuSN>
- حاتم، عمر (مؤسس إذاعة ترام)، مقابلة بتاريخ 16 أبريل/ نيسان، 2017.
- حسن، أحمد (مؤسس إذاعة جنّات)، مقابلة بتاريخ 19 أبريل/ نيسان 2017.
- حسن، أحمد سيد (9 ديسمبر/ كانون أول 2015)، حين كان الراديو بطلاً شعبياً. موقع (الحكاية) (تاريخ الزيارة: 24 سبتمبر/أيلول 2017). <http://el7ekaya.com/news/2015/12/09/515>.
- حسين، محمد رمضان (أحد مؤسسي إذاعة ميري إف إم)، مقابلة بتاريخ 28 أبريل/ نيسان 2017.
- دن، ميشيل وويليامسون، سكوت (2014)، عدم الاستقرار غير المسبوق في مصر بالأرقام. مركز كارينغي للشرق الأوسط. نسخة أليكترونية مستعادة بتاريخ 7 يونيو/حزيران 2017 من: <http://carnegie-mec.org/2014/03/24/ar-pub-55130>

ومن المرجح أن تراجع توقف عمل الإذاعات الأهلية سوف يؤثر سلباً على انتشار الموسيقى البديلة التي وجدت مساحة انتشار لها في هذه المحطات. احتلت الأغاني والموسيقى البديلة مركزاً متصديراً لبرامج الإذاعات محل الدراسة، فكانت تبث أغنيات الفرق الفنية الناشئة في مدينتهم، مثل (كارثة نيفين) و(أقصى الوسط) و(بارانويا)، إضافة إلى دعم الفنانين الشباب بالمدينة مثل (مي وليد) و(آية متولي). ولعل الرابط بين الظرف الثوري ودعم الفن الموسيقي السكندري هو حقيقة أن هذه الفرق والمغنيين قدموا نوعاً متمرداً على الفن التجاري المعتاد علي طريقة الإنتاج والمضمون وطرق الانتشار. ويمكننا القول بأن الفن البديل السكندري كان معادلاً محلياً لرفض الأوضاع القائمة على صعيد الفن، بنفس الطريقة التي كانت الثورة ضد حكم مبارك رفضاً للأوضاع القائمة على صعيد السياسة، واستمرار هذه الرفض -من خلال دعم الفرق والفنانين أرباب هذا النوع من الموسيقى- شكلاً لدعم الثورة. وهي حالة اشتركت فيها الإذاعات الرقمية المصرية عموماً، ففي أعقاب ثورة ٢٠١١ ظهر تيار البحث عن الموسيقى البديلة، المحلية أو الإقليمية أو العالمية، وترصد (هدير المهدي) أمثلة متعددة لإذاعات الإنترنت التي تخصصت في ذلك، منها (راديو تسعينات إف إم) ويذيع حضرياً أغاني فترة الثمانينيات والتسعينيات، و(راديو مدينة البط) الذي يقدم موسيقاً من قارات العالم لفرق معروفة و(راديو وصلة إف إم) الذي يقدم الموسيقى المستقلة والمعاصرة في دول البحر المتوسط (المهدي ٢٠١٣). ولعل الفرق الغنائية للمهمشين ستكون الأكثر تضرراً من غياب الأضواء الإعلامي عليها التي كانت تحظى بها من الإذاعات الأهلية، فنجد (راديو جنّات) كان مميزاً في إذاعة أغاني (المهرجانات) الشعبية ويخصص لها ساعة يومية، وهو نوع من الغناء ظهر في ضواحي القاهرة والاسكندرية في منتصف الألفينيات ويجمع بين الفن الشعبي المصري، والهييب هوب الأمريكي والموسيقا الأليكترونية الأوروبية (بنشوي ٢٠١٥). وتتركز فرق (المهرجانات) السكندرية في الأحياء الفقيرة، مثل (الدخيلة) ومنها فرق (الشعوذجية) و(اتحاد القمة)، وكان (أحمد حسن) -مؤسس (راديو جنّات)- يذيع أعمال هذه الفرق باستمرار ويجري لقاءات إذاعية مع أعضائها.

وهكذا، فإن التراجع الثوري المتمثل في تغير البيئة القانونية لعمل الإعلام الأهلي، وعدم الاستقرار السياسي والإحباط العام كانوا سبباً في توقف عمل الإذاعات الأهلية السكندرية، بالإضافة إلى التعسر المادي بناءً على غياب أو عدم دقة الدراسة المسبقة لاستمرارها، كذلك عدم قدرة مؤسسيها على التوفيق بين حيتاتهم الشخصية وأعمالهم وإدارة تجاربهم الإذاعية. وعلى الأرجح، سوف يخلق غياب هذا النوع من الإذاعات فراغاً في المشهد الإعلامي يؤثر سلباً على المحتوى الموسيقي البديل الذي اعتادت الإذاعات الأهلية الترويج له ويقلل من وتيرة تطوير الإعلام الحكومي لنفسه التي أثارها الإعلام البديل إلى حدّ ما، بالإضافة إلى تضيق فرص الموهوبين في المجتمعات خارج القاهرة للوصول إلى العمل الاحترافي في العاصمة.

أنماط جديدة ملكية وتنظيم الإعلام؛ لأن نماذج الإعلام الأهلي كثيراً ما تقدم نماذج بديلة للسائد في ذلك، على سبيل المثال في (راديو ترام) كان النموذج الريادي واضحاً وقادراً على الاستمرار لفترة غير قليلة، أيضاً الملكية الجماعية والإدارة التحريرية الجماعية في (راديو ميري إف إم). من ناحية أخرى، فإن وجود الإذاعات الأهلية يساعد بعض أبناء المجتمعات التي تظهر بها في تعلم وممارسة العمل الصحفي، لتكون سبيلاً لهم للوصول إلى الإعلام الاحترافي، وهو ما حدث في (راديو فريسكا) على سبيل المثال، حيث كانت فرصة لالتحاق بعض العاملين فيها بسوق العمل الكبير في العاصمة، ومنهم (عمرو عصام) المذيع حالياً في (راديو نغم إف إم) الأرضي. والواقع أن هذه الفئة من الناشئين أو المحليين فاعلة في إمداد المشهد الإعلامي بالمحتوى الذي لا يظهر في الإعلام السائد، أكان خبيراً أو غير ذلك. فمثلاً أنتج (راديو فريسكا) عدداً من المسرحيات من خلال الشباب العاملين بالمسارح السكندرية - خاصة - مسرح (بيرم التونسي) الذين تولوا الإعداد والتحضير للمسرحيات الإذاعية. ويأت ذلك في وقت تراجع فيه ذلك من جانب الإعلام الحكومي، فقد دأبت (إذاعة الأسكندرية) الرسمية على إنتاج مسلسلات وسهرات درامية (قصة تمثيلية من حلقة واحدة)، غير أن ذلك تراجع تدريجياً بعد تقلص ميزانية الإذاعة في إطار تأزم الأوضاع الاقتصادية عموماً. ولعل أكثر مواسم الإنتاج الدرامي في مصر هي شهر رمضان، وقدمت (إذاعة الأسكندرية) في هذا الشهر العام الماضي = (٢٠١٦) مسلسلاً واحداً فقط.

كذلك، يُمثل غياب الإذاعات الأهلية عن المشهد الإعلامي فرصة ضائعة لدعمه، إذ أن هذه الإذاعات تسد الفجوات التي تظهر لدى الإعلام الحكومي، ففي تجارب مختلفة، خدم ظهور الإذاعات الأهلية المشهد الإعلامي للدولة، إذ دفعت شعبية الإذاعات الإعلام السائد إلى إعادة الهيكلة، على سبيل المثال، أدى رواج «راديو القراصنة»^٦ في منتصف الستينيات إلى تدشين هيئة الإذاعة البريطانية أربعة محطات إذاعية عام ١٩٦٧ (انظر كروك ١٩٩٨، وستيريت ٢٠٠٢). وتشابه الوضع في مصر مع ذلك إلى حد ما، فالشعبية التي لاقتها (نجوم إف إم) شجعت الحكومة على إطلاق محطة إذاعية على نفس الشاكلة تبث الأغاني الحديثة والمحتوى الترفيهي، وبالفعل ظهرت هذه المحطة بإسم (راديو مصر) عام ٢٠٠٩. ورغم السماح بالإذاعات الخاصة، مايزال الاحتكار موجوداً، سواء احتكار الدولة بشكل غير مباشر، حيث أنه في المحطات التي منحتها الحكومة تراخيص البث لاحقاً، احتفظت بنسبة كبيرة من ملكيتها بالشراكة مع القطاع الخاص، على سبيل المثال (نغم إف إم) و(شعبي إف إم) و(راديو هيتس)، أو من خلال احتكار شركتي (نايل إف إم) و(دي ميديا) ملكية محطات الإذاعة الخاصة (يحي، ٢٠١٥).

٦ ظهرت «إذاعات القراصنة» في الستينيات لتبث إرسالها من السفن في المياه الدولية إلى بريطانيا على الموجة المتوسطة، و«القراصنة» هو وصف هزلي لهذه الإذاعات التي حملت أسماء أخرى، مثلاً (راديو كارولين) و(راديو لندن). وتركز محتوى هذه الإذاعات على الموسيقى الشعبية التي لم تكن تُذاع على راديو (بي بي سي) الوطنية.

أخبرني (عمر حاتم) -مؤسس (راديو ترام)- «كنا نتوقع عشر إعلانات شهرياً، الواقع كان أننا نجد خدمة إعلانية نؤديها مرة كل شهرين».

ولجأ مؤسسوا إذاعتي (ترام) و(فريسكا) إلى نموذج ريادة الأعمال في سبيل الدعم المادي لإذاعتهم، لكن بعد فترة من بدء التشغيل استطاع (راديو فريسكا) الاستمرار مادياً بالاعتماد على تدريب طلاب الإعلام في المؤسسات التعليمية بالأسكندرية على الإنتاج التلفزيوني، وذلك في إطار شركة إنتاج إعلامي تحت اسم (ميديا ستیشن) تضم وكالة أخبار وإذاعة وستوديو تصوير تلفزيوني لإنتاج برامج ووثائقيات وتقارير مصوّرة. بالإضافة لهذا قدمت الإذاعة ما أسماه (محمد فؤاد) مؤسس (فريسكا) «الرعاية الإعلامية» لعدد من الأحداث والأعمال التجارية داخل المدينة، ويعني بذلك تقديم احتكار الدعاية مدفوعة الأجر لهم. ولجأت إذاعة (راديو ترام) إلى نوع مشابه من نشاط «الرعاية الإعلامية» يسميه (حاتم) «الشراكة الإعلامية» لعدد من الأحداث الثقافية والفنية بالمدينة. على سبيل المثال، يقدم (راديو ترام) تغطية لحدث ما مقابل نظير مادي، أو أن تعلن هذه الإذاعة عن أحد الأماكن الترفيهية مقابل أن نجري فيها أنشطة تتعلق بإذاعتنا، مما يوفر لها بعض النفقات. غير أن «الشراكة الإعلامية» إلى جانب تقديم خدمة الإعلان لعدد من المقاهي السياحي والمؤسسات التعليمية والأحداث الثقافية في الأسكندرية لم يكونا كافيين لاستمرار (راديو ترام) مالياً.

كما حاول مؤسسو إذاعة (راديو ترام) تمويله عبر مشر وع ربحي مواز يحمل اسم (ترام) أيضاً، ويتضمن الإذاعة كأحد عناصره. وبالفعل في أواخر عام ٢٠١٤، أسس (عمر حاتم) وعدد من الشركاء مقهى (ترام) ليكون نشاطاً تجارياً ومقرّاً للإذاعة في ذات الوقت. كان يتكون المقهى من طابقين، يضم أحدهما طاولات الزبائن والآخر للاستوديو الإذاعي الذي كان مكشوفاً لرواد المقهى، وتنتشر في المقهى سماعات تنقل ما تبثه الإذاعة، بالتالي يسمع الحضور محتوى (راديو ترام) ويشاهدون مذييعه ويكون بمقدورهم المشاركة فيه فوراً من خلال الدخول إلى الاستوديو. واستمر هذا الوضع مدة ١٠ أشهر، بعد ذلك وقعت مشاكل مادية للمقهى، وتم إغلاقه عام ٢٠١٥ (حاتم، مقابلة شخصية، ٢٠١٧).

أما السبب الثالث لاختفاء الإذاعات الأهلية فهو عدم اقدرة المؤسسين على إدارة أوقاتهم والتوفيق بين حياتهم المهنية ونشاطهم في البث الإذاعي. فقد تعرّس (راديو فريسكا) في بدايته إلى حد ما؛ بسبب انشغال فؤاد في عمله الأساسي، في الوقت نفسه صعوبة العثور على متخصصين في إدارة المؤسسات الإعلامية والتسويق لها. السبب نفسه جعل (محمد رمضان حسن) -أحد مؤسسي (راديو ميري إف إم)- أن يستبعد العودة إلى البث بسبب عدم زوال سبب التوقف، بل زيادة مشاغله هو وزملائه.

لكن، ما تأثير إختفاء الإذاعات الأهلية على المشهد الإعلامي؟ في الواقع أن تراجع المحتوى الذي ينتجه مواطنو المجتمعات المحلية من الممكن أن يؤدي إلى ضعف تمثيل فئات أو أماكن معينة، مما يؤثر سلباً على تعددية الإعلام. وبشكل عام، فإن توقف هذه الإذاعات يُشكل تقليص المحتوى الإعلامي الذي يُنتجه المواطنون أمام ما تنتجه الدولة والمؤسسات الكبرى، وهو ما قد يُعزز احتكار ملكية وسائل الإعلام للحكومة ورجال الأعمال والشركات الكبرى، وغياب

يوليو و٢٨ شباط/فبراير، وأدت إلى مقتل أكثر من ثلاثة آلاف شخص وإصابة أكثر من ١٧ ألف (دن وويليامسون، ٢٠١٤). وسط هذه الأجواء -التي تفاقمت خلال عام ٢٠١٤- توقف (راديو فريسكا) ويشرح محمد فؤاد -مؤسس الشركة مالكة هذه الإذاعة- ذلك القرار قائلاً: «كانت الاشتباكات في الشوارع متكررة، وتم فرض حظر تجوال جزئي، بالتالي لم تكن الحركة داخل المدينة سهلة، وهو ما أثر على حضور العاملين والمتدربين أيضاً، وهم مصدر دخل أساسي لتشغيل الإذاعة. وازدادت الأمور سوءاً بالانقطاع المتكرر للتيار الكهربائي، الذي أدى بدوره -لانقطاع إرسال الإذاعة، وأضحت محصلة الأوضاع القائمة وقتها هو ضرورة تجميد النشاط». أو تشديد النظام السياسي مراقبته للمجال العام، على نحو ما حدث في (راديو ترام) من محاصرة قوات الأمن لمقره عام ٢٠١٥ والتفتيش على الأوراق القانونية له.

ويتفق مؤسسو الإذاعات الأهلية الخمس على أن تراجع اللحظة الثورية أضر بتجاربيهم، ويرى (عمر حاتم) -مؤسس (راديو ترام)- أن «الإحباط المعنوي الناتج عن تردّي المناخ السياسي والاجتماعي العام» أثر بشدة على أداء إذاعته «صحيح إنه ليس على مستوى الإعداد والتشغيل، إنما من الناحية المعنوية بات الجميع أقل حماساً للإبداع». ويشير (حاتم) إلى «الجميع» قاصداً عدداً من مؤسسي الإذاعات الرقمية توقفوا عن البث في عام ٢٠١٥ وغالبيتهم حققت إذاعاتهم شعبية جيدة، من هؤلاء فريق (راديو جرامافون) ويرتبط مؤسسو (راديو ترام) و(راديو جرامافون) بعلاقات صداقة، مما جعل توقف الأول يؤثر على الثاني. وينظر (عمر حاتم) و(أحمد عصمت) -مؤسسو إذاعتي (راديو ترام) و(راديو محطة الرمل)- إلى قانون تنظيم الإعلام بكثير من التخوف، فيقول (حاتم) «هذا القانون جعل كل شيء (نفعله في إدارتنا للمحطة الإذاعية) من قبيل المخاطرة»، وفي مقابلة معه، يصف (عصمت) القانون بقوله «لقد أسكت كل صوت».

والسبب الثاني لتوقف الإذاعات الأهلية هو التعسّر المادي، ولعل حماس المؤسسين لإنشاء إذاعات تعبّر عن مجتماعتهم -سواء كلية الطب البشري أو مدينة الأسكندرية- عطلمهم عن الدراسة المتأنية لكيفية تحقيق الاستمرارية المادية لها، واكتفوا بالطموحات والتصورات. لم يستهدف المشاركون في البحث تحقيق الربح المادي من خلال الإذاعات التي أسسوها، والواقع أن جميعهم لديهم عمل ومصدر دخل مستقل عن الإذاعة. غير أن جميعهم طمحو إلى تغطية نفقات تشغيل محطاتهم الإذاعية، سواء من خلال تقديم خدمات الإعلان التجاري مدفوع الأجر أو عبر أعمال أخرى لا تتجزأ عن الإذاعة. فكان مخططاً أن تغطي أرباح بيع جريدة (أمواج ثقافية) نفقات تشغيل إذاعة (محطة الرمل)، وفي سبيل تقليل نفقات التشغيل، شاركت المحطة مقر الجريدة، وتم الاستعانة بصحافييها للعمل في (راديو محطة الرمل). على نحو مشابه، تم تمويل إنطلاقة (راديو فريسكا) من خلال مؤسسها -محمد فؤاد- الذي تكفل بمصاريف تأسيس المقر والاستوديو وشراء معدّات حديثة، إضافة إلى دفع الرواتب وكافة النفقات اللوجيستية (فؤاد، مقابلة شخصية، ٢٠١٧). أما (راديو ترام)، توقع مؤسسوه أن تكون الإعلانات التجارية مصدراً لنفقات تشغيل إذاعتهم، غير أن الواقع لم يدعم هذا التصور، فكما

(حاتم) -مؤسس (راديو ترام) - ب«البلاغ الكيدي» حول البث غير المشروع، وهو الموقف الذي انتهى بإبراز (حاتم) ورفاقه التصاريح المطلوبة لرجال الأمن. وفي المقابل، بينما لا يجد (فؤاد) -مؤسس (راديو فريسكا)- في قانون الإعلام من المواد ما يدعو إذاعات الإنترنت التي على شاكلة إذاعته إلى القلق: «لأن هذه الإذاعات تقدم محتوى فني وثقافي بالأساس، وتبتعد عن التعبئة والتحليل السياسي». بينما لم يهتم مؤسسو إذاعات (جَنّات) و(ميري إف إم) بالإطار أو الظروف القانونية على الإطلاق، باعتبار أن المادة التي اعتادوا بثها لن تسبب إزعاجاً للسلطات.

لماذا توقفت الإذاعات الأهلية السكندرية؟

تعرضت جميع الإذاعات التي يتناولها البحث إلى التوقف الجزئي أو الكامل، ففي عام ٢٠١٤ توقف (راديو جَنّات) كلياً، وفي العام نفسه تم تجميد أنشطة (راديو فريسكا) وشركة (ميديا ستیشن) المالكة له، كذلك توقف (راديو ميري إف إم) عن إنتاج مواد إذاعية ومالبث أن توقف البث كلياً، وقبل ذلك بأقل من عام توقف (راديو محطة الرمل) تماماً عن البث، ليظل (راديو ترام) متواجداً على شبكة الأنترنت، لكن منذ أواخر عام ٢٠١٥ لكن دون إنتاج البرامج أو أية مواد للبث، ليكتفي بإذاعة مقاطع موسيقية وأغان.

ويُظهر البحث أن تأسيس الإذاعات الأهلية غالباً ما يكون مرهوناً بلحظة «ثورية» معينة، والمقصود بالثورية هنا هو التغيير، سواء في شكل ظهور بديل أو مجرد تبدد وضْعاً قديماً. وفي حالة الإذاعات الأهلية التي تناولتها الدراسة، كانت هناك لحظتان ثوريتان، الأولى في عام ٢٠٠٩ تمثلت في إمكانية إنشاء إذاعة على شبكة الأنترنت، وهو ما يشكل بديلاً للإذاعة الرسمية أو مراسلة الصحف. واللحظة الثورية الثانية هي التغيير السياسي عام ٢٠١١ بإسقاط الرئيس الأسبق حسني مبارك عقب انتفاضة شعبية ضده وما أسفر عن ذلك من شعور عام بتمكين المواطنين واتساع للمجال العام.

واختفت الإذاعات الأهلية لثلاثة أسباب، أولهم تراجع اللحظة الثورية، الذي تمثل في ظهور مزيد من التقنيات للبث الإذاعي الرقمي بشكل ربما كان معقداً على غير المتخصصين، لاسيما مع زيادة أعداد المستمعين. ويتمنى (أحمد حسن) -مؤسس (راديو جَنّات) تخطي العقبة التقنية وعودة إذاعته مجدداً، وأخبرني أنه طلب من أحد زملائه بقسم الأجهزة -في الشركة التي يعمل لديها- بتصنيع جهاز يمكنه البث الإذاعي على الموجة القصيرة. وتمثل التراجع الثوري -أيضاً- في تغير المناخ القانوني ليصبح حصاراً للإعلام الأهلي، وتقلص مساحة المجال العام بسبب عدم الاستقرار السياسي والأمني. إذ كان تردّي الأوضاع السياسية سبباً مباشراً في توقف الإذاعات الأهلية، لأنه انعكس بشكل فوري على الحياة اليومية. ففي عام ٢٠١٣، ساد الاستقطاب السياسي بين مؤيدو جماعة (الإخوان المسلمين) الحاكمة وقتها والموالين لها من تيارات الإسلام السياسي، والمعارضين لهم، وتمثل ذلك في اشتباكات متكررة بين أنصار الجانبين في الأسكندرية ومدن عدة تجاوزت ١١٠٠ مظاهرة واشتباك في الفترة -فقط- بين ٣ تموز/

للبث، وهو ما كان صعباً في حالة (راديو جرامافون) لكونه غير ذي مقر ويثبته المؤسسون من منازلهم (مصطفى، المصري اليوم ٢٠١٥). وفي ديسمبر/ كانون أول من عام ٢٠١٦ تم إقرار هذا القانون الذي تخوفت منه إذاعة (راديو جرامافون)، فنشرت الجريدة الرسمية قانون (تنظيم البث المسموع والمرئي) أو ما يعرف ب (قانون التنظيم المؤسسي للإعلام). ويُعرّف قانون رقم ٩٢ لسنة ٢٠١٦ «البث» بأنه: «كل إذاعة أو إرسال أو إتاحة مشفرة أو غير مشفرة لأصوات أو لصور أو لصور وأصوات معاً أو أي تمثيل آخر لها، أو إشارات أو كتابات من أي نوع كانت لا تتصف بطابع المراسلات الخاصة، بما يسمح بأن يستقبلها أو يتفاعل معها الجمهور أو فئات أو أفراد معينة منها، ومن ذلك ما يتم عن طريق وسائل سلكية أو لاسلكية أو عن طريق الكابلات والأقمار الصناعية أو عبر الشبكات الحاسوبية والوسائط الرقمية أو غير ذلك من وسائل وأساليب البث أو النقل والإرسال والإتاحة»، بالتالي يتضمن القانون الإذاعات الرقمية التي يؤسسها أفراد أو هيئات. وتحظر المادة ١٦ من القانون نفسه قيام أي جهة أو شخص باستخدام أي وسيلة أو جهاز أو تقنية للبث المباشر، أو إعادة البث عبر الأقمار الصناعية، أو الإنترنت، لأي حدث داخل مصر بدون تصريح رسمي من (المجلس الأعلى للإعلام)، وهو هيئة استحدثها القانون لمنح التراخيص ومراقبة أداء وسائل لإعلام المختلفة، وبشكل صريح يُخوّل قانون (تنظيم البث الإعلامي) المجلس الأعلى للإعلام وحده حق الموافقة على بث المواد المسموعة والمرئية والرقمية على الهواتف الذكية. وفي عام ٢٠١٧، تأسس المجلس الأعلى لتنظيم الإعلام، ليصبح تطبيق القانون سارياً بالفعل، وتتولى الهيئة إصدار التراخيص لمؤسسات البث ويوقع عليها الجزاءات من تلقاء نفسه، أو بناء على شكوى تقدم إليه، الدعاوى القضائية عن أي مخالفة لأحكام هذا القانون أو إذا رصدت لجنة تقويم المحتوى انتهاكاً من أية مؤسسة صحفية أو إعلامية للقواعد والمعايير المهنية، وفقاً لهذا القانون.

تلك الإجراءات تعني أن الإذاعات الرقمية سوف تغدو غير قانونية ما لم تحصل على ترخيص بث من المجلس الأعلى لتنظيم الإعلام. ويستبعد غالبية المشاركين الحصول على مثل هذا الترخيص الذي يتطلب إجراءات ونفقات طائلة، لأنه وفقاً للقانون الجديد يُشترط ألا يقل رأس مال المحطة الإذاعية عن ٧ ملايين جنيه مصري لحصولها على ترخيص، ولم يُميّز القانون بين المحطات الرقمية وغيرها. ويزيد من صعوبة الترخيص عدم وجود مقر لهذه الهيئة في الأسكندرية، وأن كثير من مؤسسي الإذاعات الأهلية ليسوا من محترفي الإعلام بالتالي قد لا تنظر إليهم الهيئة بجدية.

وقبل صدور هذا القانون، كانت إذاعة (راديو ترام) حريصة على إضفاء الصبغة القانونية عليه، خاصة مع مشاركته في أعمال تجارية، ففي عام ٢٠١٢ تم تسجيل (راديو ترام) باعتباره شركة دعاية وإعلان ومن أنشطتها بث إذاعة على شبكة الإنترنت باللغتين العربية والإنجليزية ومصدر تمويلها الإعلانات. وتأسس شركة تجارية من أنشطتها العمل الإعلامي وهي طريقة ظلت شائعة للتحايل على افتقار المنظومة القانونية في مصر إلى قواعد تأسيس محطات البث الإذاعي وكيفية التقدم بطلب بشأن الحصول على ترخيص (مندل وآخرون، ٢٠١٣). لكن ذلك لم يمنع قوات الأمن من مداهمة مقر هذه الإذاعة عام ٢٠١٣ بعد ما وصفه لي

المهرجانات. وأحياناً يبث (راديو جنّات) لقاءات مع أعضاء فرق المهرجانات، أو الفقرات التي يُعدها مستمعو الإذاعة ويتشاركونها مع (حسن) على ذاكرة رقمية. أما (راديو فريسكا) فقد اتجه إلى الانتظام في إنتاج البرامج، خاصّة التي تلقى شعبية بين المستمعين، منها (ساعة روقان)، الذي يتيح للمستمعين التفاعل مع مقدمة البرنامج التي تتلقى مكالمات ورسائل الجمهور حول الأغاني التي تبثها إذاعة (راديو فريسكا). لكن (راديو ترام) يقل فيه جدّاً المحتوى غير الغنائي، بسبب رغبة المؤسسين في احتفاظه بطابعه الموسيقي.

وانعكست رغبة مؤسسي هذه الإذاعات في إيجاد صوت إعلامي محلي لمدينة الأسكندرية على برامجها، فساهمت الإذاعات الأهلية بشكل كبير في تقديم محتوى إعلامي يركز على الأبعاد الاجتماعي والثقافي والتراثي للمدينة. فكان (راديو فريسكا) يبث موادّاً عن الجاليات اليونانية والأرمنية الموجودة بالأسكندرية ويلقي الضوء على ثقافتهم وتراثهم الحضاري بالمدينة، وقدم (راديو محطة الرمل) تغطيات وافية للأحداث الثقافية بالمدينة، حتى (راديو ميري إف إم) الموجه إلى طلاب كليات الطب في الأسكندرية وخارجها لم يرغب عنه الطابع السكندري، وقدمت هذه الإذاعة فقرات حول الأماكن المتميزة للتنزه في الأسكندرية بتكلفة اقتصادية، ومطاعم الأكل الجيد غير المشهورة في المدينة، على اعتبار أن فالطلاب هم شباب يبحثون عن تفاصيل يتشاركون فيها مع غيرهم خارج أسوار الكلية.

لكن حقيقة أن الإنترنت يتجاوز المحلية بكثير دعي مؤسسوا (ترام) إلى مراجعة فكرة المحلية كما يقول (حاتم) في مقابلة معه عام ٢٠١٧ «متابعة إحصاءات الاستماع كانت تقودنا إلى سؤال: هل نحن من نوجه الناس، أم هم من يوجهوننا؟ بمعنى آخر، هل يفترض أن نقدم للجمهور ما نزن أنه من الواجب تقديمه ونستخدم ما لدينا من معلومات ديموغرافية عنهم لإنجاز ذلك؟ أم علينا الاستفادة منهم في المعلومات المتوفرة في إنتاج محتوى يناسب أذواقهم، بالتالي ضمن استمرارية متابعتهم لنا؟» وأجاب (حاتم) بقوله «أعتقد أننا أمسكنا العصا من المنتصف». وظهر الطابع التشاركي لإنشاء المحتوى واضحاً في (راديو ترام)، فعلى الموقع الإلكتروني لهذه الإذاعة قسماً مخصص ليشترك الجمهور المواد الصوتية التي يرغبون إذاعتها عبر (ترام) من خلال صفحة تطلب بيانات: الإسم، عنوان المادة، صورة مرفقة بها، ثم زراً لتحميلها على موقع الإذاعة.

ما قبل توقف الإذاعات الأهلية السكندرية

في عام ٢٠١٤ توقف (راديو جرامافون) أحد أشهر المحطات الإذاعية على الأنترنت في مصر خلال السنوات الأخيرة التي تأسست عقب ثورة ٢٠١١ واكتسبت شعبية واسعة، خاصة بعد نجاحها في تخصيص سبعة قنوات إذاعية يتخصص كل منها في بث لون من الموسيقى. وسبب التوقف هو التعسّر المادي لمؤسسيه، ما أدى إلى عطل الخادوم الذي يستضيف الموقع الإلكتروني لهذه الإذاعة على شبكة الأنترنت ومسح الأرشيف الخاص بها، بالإضافة إلى طرح قانون جديد للإعلام. وفي عام ٢٠١٥، يفرض على الإذاعات بكل أشكالها الحصول على ترخيص

وبشكل ملحوظ لجأ أرباب الإذاعات الأهلية السكندرية -محل العينة- إلى استخدام الموارد المتاحة في بيئتهم لتعويض القصور في الإعدات التقنية لديهم، فعلى سبيل المثال، استخدم فريق (راديو ميري إف إم) الحاسوب الشخصي لأحدهم في تسجيل البرامج، واشتركوا في شراء مكبراً رقمياً للصوت. وبدلاً عن الاستوديو العازل للصوت. حاولوا استخدام مربع كبير من الكارتون ليكون بمثابة غرفة صغيرة جداً يقف بها المذيع وقت التسجيل بحيث تحجب عنه الأصوات المحيطة ليصير التسجيل أكثر نقاء، غير أن هذه التجربة لم تنجح، واعتمد فريق هذه الإذاعة على برامج حاسوبية لتجويد وتنقية الصوت (حسن، مقابلة شخصية، ٢٠١٧). وفي إذاعة (ترام) كان الاستوديو عبارة عن غرفة معزولة صوتياً تم تجهيزها بالاستعانة بأحد عمال تركيب الأخشاب وفني تركيب زجاج، حيث قاما بتبطين الغرفة بحيث تعزل صوتياً عن المحيط الخارجي، وقسم الغرفة إلى جزء معزول بالزجاج على غرار (غرفة التحكم) في محطات الإذاعة الاحترافية، بجانب جزءاً آخر للمذيعين والضيوف.

ج. الإدارة التحريرية

يمكننا تمييز المحتوى الذي قدمته هذه الإذاعات إلى الآتي: (١) إخباري أو خدمي، ويتركز على تقارير عن القرارات المحلية في الأسكندرية، وتغطيات مباشرة للحفلات الغنائية متضمنة لقاءات مع المنظمين والفرق المشاركة. و(٢) ترفيهي، ويتركز في إذاعة الموسيقى سواء التجارية أو البديلة، إضافة إلى بعض المواد الدرامية الساخرة، (٣) تثقيفي، مثل برنامج (البصمجي) على (راديو ميري إف إم) الذي يتناول حياة شخصيات تركوا بصمة في مجالاتهم، ويقل هذا النوع من المحتوى في الإذاعات محل الدراسة، فيكاد يقتصر على (ميري إف إم) و(راديو فريسكا)، (٤) إعلاني يغطي الأعمال والفعاليات المحلية، (٥) لقاءات مع مشاهير، وفي حالة (راديو ميري إف إم) كان الضيوف هم أساتذة الكلية والمرشحن لمناصب قيادية في إدارتها. ومن اللافت أن محتوى هذه الإذاعات يكاد يكون قد اختفى تماماً من شبكة الإنترنت: بسبب عدم اهتمام المؤسسين بالاحتفاظ بها على مواقع التواصل الاجتماعي (حاتم وفؤاد، مقابلات شخصية، ٢٠١٧)، وفلسفة إعادة نشر المحتوى خارج المواقع الأليكترونية الأصلية للإذاعات هي أن هذه المواقع سوف تغلقها الشركات المالكة للخواديم المضيفة حال عدم سداد رسوم الاستضافة، أو أن يختفي الموقع نهائياً حال عدم تجديد اشتراك شراء العنوان الأليكتروني الخاص به، وهو ما حدث بالفعل مع إذاعتي (راديو فريسكا) و(راديو ميري إف إم)، غير أن الأخير ما تزال بعض المواد التي بثها متاحه على قناته على موقع (يوتيوب) و(ساوند كلاود). ولم يكن لدى جميع الإذاعات محل الدراسة خريطة برامج ثابتة، باستثناء (راديو جنات) التي كيف مؤسسها (أحمد حسن) مواعيد بثها ومضمونها مع نمط حياته وذوقه الشخصي، فكانت هذه الإذاعة تبدأ إرسالها من الساعة السادسة مساءً بعد انتهاء (حسن) من عمله، ويركز محتواها على الموسيقى، خاصة ذات الطابع الشعبي والكلاسيكي. ويذيع (راديو جنات) فقرات ثابتة يومياً بواقع ساعة في المتوسط لكل منها، هي القرآن الكريم، وأغاني (أم كلثوم) و(عبد الحليم حافظ)، وأغاني فترتي الثمانينيات والتسعينيات، والأغاني الخليجية، وأغاني فن

أسسها ثلاثة من مثقفي المدينة هم الصحفي حسام عبد القادر والأديب منير عتيبة والتقني محمد حنفي، ثم توقفت بعد الصدور بفترة. وفي الإصدار الثاني شارك حسام عبد القادر كلا من رائد الأعمال أحمد عصمت ومحمود عزت في تأسيس شركة مساهمة تصدر عنها الجريدة والإذاعة، وتضمن المشروع إصدار صحيفة (أمواج ثقافية) في نسخة ورقية وأليكترونية، بالإضافة إلى إذاعة (محطة الرمل)، ولم تحمل الإذاعة إسم الجريدة لأن موادها كانت متنوعة وغير مقصورة على المادة الثقافية. وتوقفت الإذاعة في عام ٢٠١٢ نفسه بسبب التعسر المالي.

(راديو فريسكا): بدأت الإذاعة في سبتمبر/أيلول من عام ٢٠١٢ كجزء من شركة خدمات إعلامية بإسم (ميديا ستیشن) مقرها الأسكندرية تتضمن مركز تدريب لشباب الإعلاميين والطلاب، ووكالة أخبار وإذاعة وستوديو تصوير تليفزيوني لإنتاج برامج ووثائقيات وتقارير مصورة. واستخدمت الشركة وسائل الإعلام الاجتماعي والفعاليات الثقافية والفنية في الأسكندرية للإعلان عن نفسها، وساعد الحراك السياسي -آنذاك- على ترويج الإذاعة للمستمعين. وتم اختيار العمالة من خلال إعلانات على شبكات التواصل الاجتماعي، واستهدفت الإعلانات المذيعين ومُعدي البرامج، وتم إجراء مقابلات لهم للتأكد ممن لديهم المهارات الأساسية التي تؤهلهم للعمل الإذاعي. وتعمد فؤاد استقدام صحفيين في بداية حياتهم المهنية وحديثي التخرج، ويرى أنهم بالفعل أثبتوا جدارة في العمل الإعلامي (مقابلة شخصية مع محمد فؤاد، مؤسس راديو فريسكا، ٢٠١٧).

ب. الإدارة الفنية

لم يكن ضعف المعرفة الفنية بتقنيات الإذاعة عائقاً أمام تأسيس الإذاعات الأهلية، فالإمام بأساسيات استخدام الإنترنت وملفات الصوت كان نقطة بداية كافية أمام غالبية مؤسسي الإذاعات السكندرية -محل العينة- وذلك للتعلم الذاتي في سبيل إنشاء محطة إذاعية رقمية. يقول (أحمد حسن) في مقابلة شخصية معه عام ٢٠١٧ -مؤسس (راديو جنات)- «كنت مبهوراً بفكرة إذاعات الإنترنت منذ ظهورها عام ٢٠٠٨، لكنني لم أعرف كيفية تأسيس إحداها. بعدها بعام كنت قد تعلمت -من خلال البحث على شبكة الإنترنت- كيفية إنشاء موقع بمثابة إذاعة رقمية، وبالفعل أطلقت (راديو جنات) عام ٢٠٠٩». الأمر نفسه تكرر في (راديو ترام)، فالمستول عن الموقع الأليكتروني الموجودة عليه هذه الإذاعة هو شاب تعلم تطوير المواقع ذاتياً عبر المقاطع التعليمية التسجيلية الموجودة على (يوتيوب)، وفي سبيل إنشاء موقع (راديو ترام) بحث عن المزيد وتعلم حتى أخرج الموقع. وعلى نحو مشابه، لم يكن لدى مؤسسي (ميري إف إم) الأموال أو المعرفة الفنية لإنشاء إذاعة، فضلاً عن عدم وجود الوقت الكافي لدى المؤسسين لإدارة بثاً إذاعياً حياً، واتفقوا على تسجيل البرامج بشكل أسبوعي أو نصف أسبوعي بدلاً عن البث المباشر. وبالفعل، استمر البث لمدة ثلاث سنوات، بواقع ٧٠ دقيقة في المتوسط أسبوعياً، وذلك وفقاً لمحمد رمضان حسن، أحد مؤسسي راديو (ميري إف إم).

الأبعاد الحضارية والديموغرافية للمدينة ولسكانها وأخبارهم. أيضاً، استهدفت بعض هذه الإذاعات أن تكون منبراً إعلامياً بديلاً ذي صبغة محلية. واستعرض بإيجاز تأسيس كل من الإذاعات محل الدراسة:

(راديو جنّات): ظهر راديو (جنّات) عام ٢٠٠٩ وهي إذاعة منزلية تُبث بالكامل من منزل حسن في منطقة (القُبّاري) الشعبية، تبدأ إرسالها من الساعة السادسة مساءً -بعد انتهائه من عمله- حتى بعد أذان الفجر. ويركز محتواها على الموسيقى، خاصة ذات الطابع الشعبي والكلاسيكي. ويبرر (حسن) ذلك بأنه قد يتعرض للمساءلة القانونية حال إذاعته أغاني تجارية حديثة تتمتع بعض الشركات بحقوق البث الحصري لها. واستمر (راديو جنّات) من يونيو/حزيران عام ٢٠٠٩ حتى عام ٢٠١٤، لكن اسمها تغير في أواخر عام ٢٠٠٩ إلى (راديو فريسكا).

(راديو ميري إف إم): بدأت إذاعة (ميري إف إم) في مايو/أيار عام ٢٠١١ من خلال طلبة كلية الطب البشري بجامعة الأسكندرية، وبالتزامن مع ما يسميه (محمد رمضان حسن) -أحد المؤسسين- «حالة عامة من التوقير للشباب والترحاب بتحركاتهم، ما يصفها حسين قائلاً «كان للشباب اليد العليا وقتها». ووافقت إدارة الكلية على إتاحة إحدى الغرف لفريق (راديو ميري إف إم) في أيام العطلات، بحيث يستخدمونها لتسجيل برامج هذه الإذاعة. وركز (راديو ميري إف إم) على تفاصيل حياة طلاب كلية الطب وقدمها في إطار ساخر ممزوج بالنقد.

(راديو ترام): بدأت فكرة تأسيس إذاعة (راديو ترام) أواخر عام ٢٠١١ من خلال (عمر حاتم) الذي تأثر بالحراك الثوري وقتها، واستخدم شبكة التواصل الاجتماعي (فيسبوك) للتنسيق مع أصدقائه وتدشين محطة إذاعية. يخبرني (حاتم):

«في عام ٢٠١١ خلقت الثورة لدي حماساً للخوض في مشروع جديد، لم أكن متأكداً هل ما أودّه هو مشروع تجاري أم لا. لكنني أذكر أنه في طريقي لمقابلة صديق لمناقشة هذا الأمر معه أدت الإذاعة في سيارتي، فجاءت الفكرة : لماذا لا أؤسس محطة إذاعية للمدينة. وبالفعل، أعلنت لأصدقائي على (فيسبوك) أنني أود تدشين محطة إذاعية وبحاجة إلى أفكار ومهارات الآخرين، فجاءني عددٌ جيّد للمناقشة، ومن ثمّ بدأت التجهيزات»
(حاتم، مقابلة شخصية ٢٠١٧)

وحظى (راديو ترام) بشعبية على الانترنت من جمهور الأسكندرية وغيرهم، إذ ظل متوسط تعداد مستمعيه -حتى أواخر عام ٢٠١٤- حوالي ١٤ ألف شخص على أساس يومي -وفقاً لحاتم.

(راديو محطة الرمل): تأسست محطة (راديو محطة الرمل) في يونيو/حزيران عام ٢٠١٢ ضمن مشروع إعلامي يتضمن إصدار جريدة (أمواج ثقافية) وإذاعة (أمواج) المعروفة أيضاً باسم (راديو محطة الرمل). والواقع أن المشروع كان إعادة إحياء لجريدة (أمواج) الثقافية التي انطلقت عام ١٩٩٩ على الإنترنت كجريدة متخصصة في الحالة الثقافية السكندرية

أ. التأسيس

تتنوع الخلفيات الثقافية والعملية والاجتماعية لمؤسسي الإذاعات السكندرية محل الدراسة، فنجد مؤسس (راديو ترام) هو (عمر حاتم) المهندس الذي اتجه للعمل لدى قنصليات إحدى الدول الغربية بالأسكندرية، وكانت هذه الإذاعة تُبث من منطقة (بولكلي) التي تسكنها الطبقة المتوسطة ثم في (كفر عبده) ذات الطابع الارستقراطي. وأسس (راديو ميري) مجموعة من طلبة كلية الطب البشري بجامعة الأسكندرية ليتم تسجيل برامجهم بمقر الكلية في حي (الأزاريطة) العريق الذي يتوسطه مجمع كليات جامعة الأسكندرية. وصاحب (راديو جنات) الشاب (أحمد حسن) الذي يعمل حالياً بإحدى شركات تعليب الأغذية وبدأ تجربته أثناء دراسته في التعليم الفني الصناعي من منزله في منطقة (القبّاري) الشعبية. وكل هؤلاء لم يكن لديهم خبرة العمل الإعلامي. في المقابل، ظهرت إذاعات أهلية سعت أن تكون إعلاماً محلياً مستقلاً، مثل (راديو محطة الرمل) و(راديو فريسكا)، فالأولى أسسها رائد الأعمال التسلسلي في مجال الإعلام (أحمد عصمت) والكاتب الصحفي (حسام عبد القادر) و(محمود عزت) رئيس وحدة العلاقات الثقافية والدعم المعلوماتي بمكتبة الإسكندرية، و(راديو فريسكا) هو مشروع الصحفي السكندري (محمد فؤاد). وهذا التباين في الخلفيات الثقافية والتعليمية والاجتماعية للمؤسسين سمة رئيسية في الإعلام الأهلي الذي يمكن أن يشترك فيه أي من أعضاء المجتمع الصغير (المدينة).

وفي سبيل تخطي مسألة غياب خبرة العمل الإعلامي لدى غالبية مؤسسي الإذاعات السكندرية، اعتمد العاملون فيها على مهاراتهم الشخصية للإدارة، فعلى سبيل المثال، في (راديو ترام) تولى الإدارة والتنظيم شخصاً كان مسئولاً عن نشاط الكشافة في المدينة في وقت سابق. كما اعتمد غالبية مؤسسي الإذاعات السكندرية على رأس المال الاجتماعي لحل مشكلات تأسيس وإدارة محطاتهم، بمعنى أنهم قاموا بالبحث في دوائرهم الاجتماعية عن أصحاب المهارات المطلوبة، ففي (راديو فريسكا) لم يكن لدى مؤسسه (محمد فؤاد) خبرة سابقة بالعمل الإذاعي خاصة ولكنه استعان بعدد من أصدقائه الإذاعيين لتدريبه وفريقه على تنظيم وإدارة هذه المحطة الإذاعية الرقمية، وبالفعل أصبح لدى فريق العمل في (راديو فريسكا) تصوراً عن الخطوط الأساسية لذلك، وتطورت الفكرة من خلال العمل والتجريب ومزيد من المناقشات بين أعضاء الفريق المنضمين إليهم لاحقاً.

وفي كل التجارب التي يرصدها هذا البحث للإذاعات المحلية، استخدم المشاركون مواقع التواصل الاجتماعي على شبكة الإنترنت للتواصل مع أعضاء المجتمع المحلي من مواطني الأسكندرية ولأغراض الإعلان والدعاية. وكان (فيسبوك) تحديداً أداة طيعة في أيدي مؤسسي الإذاعات المحلية السكندرية لاستقدام عمالة لهذه الإذاعات وترويج محتواها والوقوف على ردود أفعال مستمعيها، بسبب شعبية هذه الشبكة الاجتماعية.

ظهرت المحطات الإذاعية -التي أتناولها في هذا البحث- تلبيةً لرغبة مؤسسيها في إيجاد صوت إعلامي لهم كأشخاص، أو للفئات النوعية التي ينتمون إليها، مثل كونهم طلاباً للطب كما هو الحال في (راديو ميري إف إم)، أو لهويتهم السكندرية بما يتضمنه ذلك من تغطية

فهي النقطة التي يصل إليها غالبية القادمون إلى المدينة، وفيها يجري تبديل خطوط الترام للمسافرين داخلها، وبها ميدان (سعد زغلول) الرئيس بالمدينة، وهذه الإذاعة عُرفت أيضاً باسم (راديو أمواج) والانتقال بين أنحاء المدينة يتم إما عبر الترام أو طريق (أبو قبر) الذي يكثر به الزحام، أو شاطئ البحر -أو كما يسميه السكندريون «وش البحر»- بالتالي فإن صوت الأمواج عنصرًا معتادًا في تمشية أهل الأسكندرية. في الوقت نفسه، عبّرت أسماء بعض هذه الإذاعات عن هوية مؤسسيها، مثل (راديو ميري إف إم) الذي أسسه عددٌ من طلاب كلية الطب بجامعة الأسكندرية. و(ميري) مرادف عامّي لكلمة «حكومي»، وتشير إلى المستشفى الميري التعليمي الذي يتدرب به طلبة الكلية في السنوات النهائية. و(إف إم) المتضمنة في العنوان هي اختصار الحروف الأولى لعبارة (كلية الطب) باللغة الإنجليزية، ولا تشير إلى البث عبر الموجات الإذاعية القصيرة.

وفي أحيان قليلة حملت أسماء هذه الإذاعات الأهلية طابعاً شخصياً، مثل (راديو جنّات) و«جنّات» هو اسم نسائي غير شائع في العصر الحالي -ويقول أحمد حسن، مؤسس هذه الإذاعة- أنه إسم إنسانة عزيزة على قلبه (حسن، مقابلة شخصية، ٢٠١٧). ورغم أن اسم (راديو جنّات) مختلفاً عن أسماء الإذاعات السكندرية الأهلية الأخرى إلا أنه الأمل إلى طبيعة الإذاعات الأهلية الشخصية، حيث أن تسمية محطات الإذاعة بأسماء شخصية كان شائعاً في بداية ظهور الإذاعة في مصر قبل تنظيمها، ففي منتصف عشرينيات القرن الماضي كان هناك (راديو فاروق) و(راديو فؤاد) و(راديو فوزية) تحمل أسماء أصحابها. وفي الأسكندرية تحديداً كان هناك (راديو فيرد) و(راديو نافيرا) على أسماء أصحاب هذه الإذاعات (برهام ٢٠١٣). وعلى شاكلة هذه المحطات القديمة التي استخدمها بعض الناس لمشاركة الاستماع إلى الأغنيات التي يبتها جيرانهم، كان حسن يستخدم إذاعته على شبكة الإنترنت لتشغيل الموسيقى التي يفضلها هو وأصدقائه. وما لبث حسن أن غيّر اسم (راديو جنّات) إلى (راديو فريسكا) بعد نحو تسعة أشهر من تأسيسه، بسبب دخوله في شراكة مع فرقة موسيقية ناشئة يتولى فيها الترويج لهم، ليصبح من المفضل لدى الطرفين أن تحمل الإذاعة إسماً معبراً عن مدينة الأسكندرية بدلا من الإسم الشخصي.

ولعل (أحمد حسن) هو الأكثر سماعاً -بين المشاركين- للإذاعة الأرضية، ويصف لي انتشار الإذاعة الوطنية في الأسكندرية قائلا:

«في الصباح تنبث التراتيل القرآنية من (إذاعة القرآن الكريم) في المواصلات العامة، أو من محطات التلفزة المتخصصة في بثها حصرياً، وهو سلوك يعتاده كثير من أرباب المحلات والمقاهي من باب التبرك وهناك عددٌ من المقاهي الشعبية يدبر إذاعة (القرآن الكريم) على مدار اليوم، على سبيل المثال: مقهى (البورصة) في محطة مصر، و(القهوة العالية) في محطة مصر أيضاً و(الشهر العقاري) في المنشية. وفي فترتي الظهيرة وما بعدها يسود تشغيل الأغاني، كلّ بحسب ذوقه الفني، وكثيراً ما تدير المقاهي العامة شاشة التلفزيون على إحدى القنوات الرياضية في وضع الصامت مع بداية الليل.»

حسن، مقابلة شخصية، (٢٠١٧)

وبس) و(راديو رحاب) و(راديو مصر) الذي يبث على الإنترنت وعبر الأثير. كذلك هناك إذاعات لمؤسسات مدنية، سواء مؤسسات ثقافية مثل (راديو الساقية) التابع لمركز (ساقية الصاوي) الثقافي، و(إذاعة رسالة) التابعة لجمعية (رسالة للأعمال الخيرية)، و(راديو بلانكو) الخاص بنادي (الزمالك الرياضي). ويتعرف المتابع للإذاعات المصرية على الإنترنت على عدد من المحطات قدم محتوى متنوع تضمن توعية مدنية وحقوقية لم يغب عنها طابع الترفيه، أشهرهم (راديو حريتنا) التابع لمؤسسة (أندلس) لدراسات التسامح ونبد العنف، و(راديو بكرة) التابع لمؤسسة غير حكومية تحمل نفس الاسم، و(راديو المحروسة) المرتبط بالأكاديمية الديمقراطية المصرية. لكن ما يقرب من ثلث المحطات التي بدأت قبل عام ٢٠١٢ تراجع نشاطها لفترات طويلة بسبب غياب التمويل والمضايقات الأمنية التي تعرض لها مؤسسي بعض هذه الإذاعات (الشبكة العربية لدعم الإعلام ٢٠١٧).

وبالنظر للتجربة التاريخية للإذاعات الأهلية، يذكر (فتحي حسين عامر) في كتابه وسائل الاتصال الحديثة من الجريدة إلى الفيس بوك أن الإذاعات الأهلية التي اضطرت للتوقف بعد تأسيس الإذاعة الحكومية عام ١٩٣٤ طلبت من وزارة الحكومة المصرية التصريح بإنشاء محطتين إذاعتين أهليتين في القاهرة والأسكندرية تعملان بجانب الإذاعة الحكومية، لكن الطلب قوبل بالرفض، فأسس أصحاب هذه الإذاعات ما أسموه (دار اتحاد محطات الإذاعات الأهلية) وقرروا مقاضاة وزارة المواصلات -التي تولت الإشراف على الإذاعة المصرية بدايةً- لكنهم خسروا القضية. بالنظر إلى هذه الحادثة في إطار الظروف الراهنة يظهر إنه من الصعب أن تتكرر تجربة الاتحاد حتى على المستوى السكندري، لأن التأسيس الرسمي لمثل هذا الكيان يستلزم إطاراً قانونياً، ويغيب هذا الإطار عن كثير من المحطات الإذاعية الأهلية في الأسكندرية كغيرها من أنحاء مصر. فكثير من محطات الإنترنت غير مسجل لدى الجهات الرسمية، وبعضها يعمل بوصفه القانوني شركات تجارية تقدم خدمات إعلامية، ولا تعترف القوانين المحلية في الوقت الجاري بمسمى (الإذاعة الأهلية) بالتالي يغيب الرابط الذي سوف يجمع أعضاء هذا الاتحاد.

الإذاعات الأهلية السكندرية

اللافت للنظر أن الإذاعات الأهلية السكندرية المحلية اختارت أسماءً من البيئة الصوتية للمدينة. فنجذ (راديو ترام) معبراً عن قطار الترام، أحد المعالم المميزة للأسكندرية، والتي يعرف سكانها صافرتة المميزة، فهو يقطع المدينة من منطقة (بحري) حتى (فيكتوريا). أيضاً (راديو فريسكا) على إسم حلوى (فريسكا) التي تشتهر بها الأسكندرية، و(راديو محطة الرمل) على إسم منطقة (محطة الرمل) التي تعد معلماً أساسياً بمدينة الأسكندرية،

١٩٨٥ وإذاعة (القناة)^٤ عام ١٩٨٨ لتغطي مدن بورسعيد والإسماعيلية والسويس والشرقية، كذلك يصل مداها إلى السفن العابرة في قناة السويس، و(إذاعة الوادي الجديد) عام ١٩٩٠ و(مطروح) و(جنوب الصعيد) عام ١٩٩٣ وتغطي سوهاج وقنا والأقصر وأسوان (صديق، ٢٠١٥). وعلى مدار سنين، ظلت (إذاعة الأسكندرية) مصدر أخبار أساسي لغالبية سكان المدينة، ففي عام ١٩٧٧ أظهرت دراسة استطلاعية أن ٧٨,٢ بالمئة من المستمعين -الذين شملتهم الدراسة- يعتمدون على هذا الإذاعة كمصدر أساسي لمعرفة الأخبار، وأظهرت الدراسة نفسها ارتباطاً قوياً بين البيئة السكندرية والمضمون الذي قدمته إذاعتها الإقليمية، مما اتضح في الاختلافات بين نشرات الأخبار وفي الأغاني التي تنتجها الإذاعة وطابعها المستمد مع البيئة والمتسق والذوق العام السكندري (مرزوق ١٩٧٧).

لكن (إذاعة الأسكندرية) -كغيرها من المحطات التابعة للإذاعة الوطنية- تراجعت شعبيتها تدريجياً بعد انتشار التقنيات الرقمية التي جعلت الإذاعات متاحة على تطبيقات الهواتف المحمولة أو شبكة الإنترنت، ففي السنوات الأخيرة، تراجع عدد المصريين اللذين يستمعون إلى الإذاعة أسبوعياً بغرض سماع الأخبار ووصل إلى ١٧ بالمئة، أي ما يعادل أقل من واحد من كل خمسة أفراد (جالوب ٢٠١٣). في المقابل، بات وجود الإذاعة على الإنترنت عاملاً مؤثراً في زيادة مستمعيها، وفي بحث أجرته (أماني عبد العزيز) حول استماع شباب الجامعات في مصر لإذاعات الأثير (إف إم)، ظهر أن ٧٧,٥ بالمئة من أفراد العينة لا يستمعون إلى المحطات التي لا تبث إلا عن طريق جهاز الراديو (عبد العزيز ٢٠١٥). في الوقت نفسه، تراجعت المخصصات المالية للإذاعة الوطنية؛ بسبب التدهور الإقتصادي العام في البلاد، لتصل ميزانية الإنتاج الإذاعي الحكومي من ٣ ملايين جنيه مصري فقط في عام ٢٠١٠ إلى ٣٠٠ ألف جنيه في ٢٠١٥ (بوابة الوفد ٢٠١٦) ثم ١٥٠ ألف جنيه في عام ٢٠١٧ ليتم توزيعها على ثلاث شبكات إذاعية فقط (الشباب والرياضة والبرنامج العام، والشرق الأوسط) لا تتضمن (إذاعة الأسكندرية) (الغيطاني ٢٠١٧).

ومنذ عام ٢٠٠٥، بدأت تظهر إذاعات الإنترنت لتغطية المحتوى الذي لا يقدمه الإعلام السائد (الشبكة العربية لدعم الإعلام، ٢٠١٧)، وتتنوع إلى الراديو الخاص المملوك لشركة أو أفراد، ومنها (راديو دياب إف إم) الخاص بالمطرب الشهير (عمرو دياب)، والإذاعات الأهلية التي يملكها مجموعة أشخاص، مثل (راديو تيت) الذي أسسه عدد من الصحفيين الشباب في عام ٢٠٠٨ للتعبير بحرية عن آرائهم في القضايا السياسية والاجتماعية، و(راديو المطلقات) الذي يديره ويعمل به عدد من الشباب اللذين انتهت زيجاتهم بالطلاق، وبدأوه عام ٢٠٠٩ لنقل أو لمشاركة خبراتهم مع غيرهم خبراتهم إلى غيرهم. هناك -أيضاً- الإذاعات الحزبية، ومنها (إذاعة الغد) التي أسسها السياسي أيمن نور عام ٢٠٠٥ عقب رفض السلطات منحه ترخيص البث على الموجة الطويلة، والإذاعات الخاصة المملوكة لشركات، مثل (بنات

٤ (القناة) هي التسمية المختصر لقناة السويس.

وبالرغم من أن محتوى هذه الإذاعات تراوح بين الموسيقي والإعلانات التجارية إذا كان أصحابها من التجار يستخدمونها لترويج سلعهم (أحمد، ٢٠١٧)، فقد أثار وجود هذه الإذاعات قلق الإحتلال البريطاني من استخدام هذه المحطات في بث المحتوى السياسي المناهض للوجود الإنجليزي في مصر، ما دفعهم والسلطات المصرية إلى إنشاء إذاعة تحتكر البث وتكون مُدارة من الدولة. وهكذا يمكننا القول أن الإذاعة المصرية كانت فكرتها أن تكون منبراً للخطاب المضاد للمحطات الأهلية. ومن ثم، قبلت الحكومة المصرية عام ١٩٣٢ عرضاً من شركة (ماركوني) البريطانية لتأسيس وإدارة الإذاعة ليبدأ البث فعلياً عام ١٩٣٤ وتضمنت محطتين: البرنامج الرئيسي والبرنامج الأوروبي، وخاطب الأخير الأجانب المقيمين في القاهرة والأسكندرية (العبد، ٢٠٠١). ثم أطلقت هيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي) إذاعتها الموجهة باللغة العربية عام ١٩٣٤ لمنافسة (راديو باري) الإيطالي، وزوّدت المقاهي في القاهرة بأجهزة استقبال علي سبيل تعزيز شعبية إذاعتها باللغة العربية، خاصة مع اشتعال الحرب العالمية الثانية وتزايد الإذاعات الأوروبية (بويد، ٢٠٠٤). وتسبب عدم جلاء القوات البريطانية عن مصر في إثارة التوتر السياسي بين البلدين، مما أدى إلى فسخ عقد شركة (ماركوني) في عام ١٩٤٧ قبل عامين من موعد انتهائه، لتبدأ مرحلة الإدارة الحكومية للإذاعة، ويصدر عام ١٩٣٩ قانوناً يجعلها هيئة مستقلة ملحقة برئاسة مجلس الوزراء. وعقب انتشار تصنيع أجهزة (الراديو) وظهور طرازات (ماركوني) و(فيليبس) ودخول الكهرباء للمناطق الحضرية في مصر، بات الاستماع إلى الإذاعة أمراً معتاداً في بيوت الطبقة الغنية والوسطى، والاستماع الجماعي للأخبار على المقاهي أساسياً لدى الطبقات الكادحة (حسن، ٢٠١٥).

ومع قيام الجمهورية عام ١٩٥٢ وإزاحة الملك ورجاله عن الحكم، بدأت مرحلة توظيف البث الإذاعي لصالح النظام السياسي فنجد أنه خلال شهر يوليو/ تموز حتى أغسطس/ آب من عام ١٩٥٢ قدمت الإذاعة المصرية ٥١ حديثاً وطنياً، و٣٥ برنامجاً خاصاً، و١٧ تمثيلية إذاعية ذات محتوى سياسي، و٣٧ قصيدة شعرية وزجلية تؤيد الثورة وتشرح أهدافها (العبد ٢٠٠١). ومنذ الخمسينيات اكتسبت الإذاعة المصرية طابعاً قومياً، فإذاعة خطب الرئيس الأسبق جمال عبد الناصر في الإذاعة، بما فيها من طابع حماسي أخاذ - وإذاعة أغاني أم كلثوم في حفلتها الشهيرة أدى إلى اكتساب الإذاعة بعداً وطنياً. وفي الإطار نفسه، قامت الحكومة بزيادة ساعات البث الإذاعي، ودعمت أسعار أجهزة الراديو (أبو لغد ٢٠٠٨).

وتأسست (إذاعة الأسكندرية) في عام ١٩٥٤ الإقليمية كأول المحطات المحلية التابعة للإذاعة المصرية ووصل إرسالها إلى مدينتي الأسكندرية والبحيرة، ليسبقاً أنحاء مصر - في التمتع بإذاعة إقليمية لأكثر من ربع قرن، فلم تظهر المزيد من هذه الشبكات إلا عام ١٩٨١ مع تأسيس إذاعة (القاهرة الكبرى) عام ١٩٨١، ثم توالى تأسيس إذاعات لأقليم (وسط الدلتا) عام ١٩٨٢ و(شمال الصعيد) عام ١٩٨٣ و(شمال سيناء) عام ١٩٨٤ و(جنوب سيناء) عام

وفي سبيل جمع المعلومات، إعتمدت على مقابلات شخصية متعمقة مع مؤسسي هذه الإذاعات أجريتها في شهري أبريل/ نيسان ومايو/ أيار من عام ٢٠١٧. وتم اختيار هذه الإذاعات وفق ثلاثة معايير، أولاً: المحلية، والمقصود أن يجري بثها من مدينة الأسكندرية، ثانياً: الأهلية، بمعنى أن تكون مملوكة ومُدارة من خلال أفراد أو مؤسسات خاصة وليست حكومية، وتبتعد تماماً عن الصبغة الرسمية، ثالثاً: تنوع طبيعة المؤسسين، فمنهم الطالب والإعلامي ورائد الأعمال وغير ذلك، بحيث تكون العينة معبرة عن الإعلام الأهلي عموماً. وجميع مفردات العينة تبث مادتها من خلال مواقع مستقلة على شبكة الإنترنت وتستخدم شبكات التواصل الاجتماعي لترويج هذا المحتوى. ويجدر بنا التوقف لتوضيح الآتي: هل يعالج البحث العينة باعتبارها إذاعات أهلية أم إذاعات رقمية؟ المقصد الأساسي هو دراسة العينة باعتبارها إذاعات أهلية في الأسكندرية، لكن الواقع الإعلامي في مصر، من حيث احتكار الحكومة لبث الموجات الأرضية، يجعل كافة الإذاعات التي يؤسسها الأفراد تلجأ إلى البث على شبكة الإنترنت. وحتى قبل الانتفاضة الشعبية ضد حكم الرئيس الأسبق حسني مبارك عام ٢٠١١، كان منح تراخيص البث الإذاعي الخاص على الموجة الطويلة أمراً مقتناً للغاية، فالدولة التي تحتكر البث الإذاعي لم تسمح بالملكية الخاصة للراديو إلا عام ٢٠٠٣ مع ترخيص إطلاق إذاعة (نجوم إف إم) كأول إذاعة خاصة في مصر تقدم الموسيقى والأغنيات حديثة الإنتاج، لكن إرسالها عبر الأثير ما يزال مقصوراً على القاهرة. وبدا أن النظام المصري تعتمد عدم منح تراخيص البث الإذاعي إلا للمحطات ذات الطابع الترفيهي. ففي عام ٢٠٠٥ رفضت السلطات منح ترخيص البث عبر الأثير للسياسي والمرشح الرئاسي السابق أيمن نور (ريناوي وآخرون، ٢٠١١)، لكن يظل تركيز البحث على الإذاعات الخمس بوصفها أهلية.

ما قبل الإذاعات السكندرية

سبقت تجارب الإذاعات الأهلية تأسيس الإذاعة المصرية المملوكة للدولة، فقد بدأ البث الإذاعي في مصر منذ عام ١٩٢٦ من خلال محطات أهلية على موجات قصيرة المدى كان ييها أشخاص أو أصحاب أنشطة تجارية، ويصل مداها إلى شارع أو عدة شوارع (العبد ٢٠٠١). وتركزت هذه الإذاعات الأهلية في القاهرة والأسكندرية وبورسعيد على وجه التحديد (فريشكوف ٢٠١٠). وخلق توافر التقنيات دافعاً لدى الأفراد في سبيل استخدامها، فوجد من الأوائل ممن أنشئوا إذاعات أهلية في مصر في عشرينيات القرن الماضي أصحاب أجهزة الاستقبال وقتها، بمعنى أن بحوزتهم جهاز (راديو) شجعهم على إنشاء محطة إذاعية، منهم أحمد صادق الجواهري الذي أسس إذاعة مع صديقه أحمد عاصم بعد حصوله على جهاز الإذاعة كهدية من ألمانيا (شليبي ١٩٩٥)، وتاجر أجهزة (راديو) إلياس شقال الذي أسس (راديو فاروق)، وتاجر البيانو عزيز بولس -مؤسس (راديو فؤاد) (عامر ٢٠١١). بالتالي، فإن غالبية مؤسسي الإذاعات الأهلية القديمة كانوا من المنتمين إلى الطبقة الوسطى وما فوقها، منهم مؤسسوا (راديو مصر الملكية) حبشي أفندي جرجس وإسماعيل وهبي فريد بك (عامر ٢٠١١).

المثال: هيريرا وصقر ٢٠١٢ وعبد الله ٢٠١٤ وألكسندر وعوراج ٢٠١٤) دون تغطية تُذكر لتجارب الإذاعات المحلية في المجتمعات المصرية الأخرى. ويعالج البحث تلك الفجوة، لي طرح سؤالاً رئيسياً عن الإذاعات الأهلية في مدينة الأسكندرية، ثاني أكبر المدن المصرية: لماذا تختفي الإذاعات الأهلية هناك بعد فترات متفاوتة من الظهور؟

والمقصود بـ «الإذاعة الأهلية» -في هذا السياق- محطة البث لمحتوى صوتي من مقر ما بمدينة الأسكندرية، بحيث يصل مداها إلى عدة أشخاص داخل المدينة أو خارجها. ولعل كثير من الباحثين يستخدمون «الأهلي»^١ و«المحلي»^٢ كمترادفين، غير أنني أفرق بينهما؛ فالإعلام المحلي هو ذلك الذي يغطي نطاقاً جغرافياً محدداً، غالباً ما يكون إقليم يجمع عدة مدن، قد يكون هذا الإعلام حكومياً أو خاصاً. أما الإعلام الأهلي فيتيم في نطاق جغرافي أقل اتساعاً، والأهم أن من يملكه وينظمه ينتمي إلى هذا الإقليم، فهو نوعاً من صحافة المواطنين. فعلى سبيل المثال، «(إذاعة الأسكندرية)» المملوكة للإذاعة المصرية والتي تبث إرسالها للأسكندرية وعدة مدن مجاورة، هي إذاعة محلية، أما (راديو فريسكا) الذي يديره أفراد من سكان المدينة، فهو إذاعة محلية. وتُعرّف الجمعية العالمية لمذيعي الراديو «الإذاعات الأهلية» بأنها المملوكة والمدارة من قبل أفراد غالباً ما يكونون متطوعين -لبث محتوى يصل إلى منطقة جغرافية معينة بالتالي لا تكون الإذاعات محل الدراسة «محلية»، وفقاً لهذا التعريف. وتؤكد التجربة التاريخية التي اقترنت بظهور المصطلح، الارتباط بين «الأهلية» والمجتمعات الصغيرة^٣، فكان الظهور الأول لهذا النوع من المحطات في أمريكا اللاتينية تحديداً عام ١٩٤٧ في بوليفيا وكولومبيا. ففي بوليفيا بدأ (راديو عمال المحاجر) لتوحيد العمال في نضالهم من أجل أجور وظروف عمل عادلة، أما في كولومبيا كانت إذاعة (سوتانتشا) معنية بمخاطبة الفلاحين وهم أيضاً أصحاب ومديري الإذاعة. وفي الخمسينيات توالى ظهور الإذاعات المحلية في أنحاء القارة اللاتينية (فرازز واسترادا ٢٠٠١).

وأعالج أسباب توقف الإذاعات الأهلية عن العمل من خلال دراسة كيفية متعمقة لخمس محطات ينتمي ويقيم جميع مؤسسيها في مدينة الأسكندرية وتتخذ من المدينة مقراً لمكاتبها، وهي: (راديو ترام) و(راديو ميري إف إم) و(راديو فريسكا) و(راديو محطة الرمل) و(راديو جنات). وانطلقوا على الإنترنت بين عامي ٢٠٠٩ و٢٠١٢ بعضها ما يزال مستمراً والآخر متوقفاً. ويغطي البحث سبع سنوات من عام ٢٠٠٩ حتى ٢٠١٦، أي من ظهور هذه الإذاعات إلى توقفها الكامل أو تعسرها، وهو ما يتزامن مع فترات تغيير سياسي واجتماعي وتشريعي واقتصادي، ويتعرض لتأثير ذلك التغيير على ظهور وتوقف هذه الإذاعات الأهلية. ويعتمد البحث على منظور مؤسسي الإذاعات الخمس مفردات العينة، ويمكن تصنيفه ضمن دراسات الاقتصاد السياسي للإعلام.

Community Media. ١

Local Media. ٢

Communities. ٣

نهى عاطف

الإذاعات الأهلية في الأسكندرية.. لماذا تختفي؟

مُلخص

يتناول هذا المقال الإذاعات التي أسسها أفراد داخل مدينة الأسكندرية في الفترة بين عامي ٢٠٠٩ و٢٠١٦، ويعالج -تحدّياً- أسباب تعرّس عمل هذه الإذاعات أو توقفها بالكامل من منظور مؤسسي، وربط ذلك بالظروف السياسية والاقتصادية والبيئة التشريعية لهذا التوقف ويعتمد البحث على مقابلات متعمقة مع مؤسسي خمسة إذاعات أهلية في الأسكندرية، والتي أظهرت أن أسباب عدم استمرارية هذه الإذاعات تراوحت بين غياب مصادر التمويل بسبب المبادرة إلى تأسيسها قبل الدراسة المتأنية للجوانب المادية، وضعف المعرفة التقنية لأصحاب هذه الإذاعات بعد التطور المتلاحق لتكنولوجيا البث الإذاعي على الإنترنت، وعدم قدرة مؤسسي هذه الإذاعات على تخصيص جزء كافٍ من أوقاتهم لمتابعة أعمالها، خاصة بعد تزايد جمهورها. وأخيراً، تراجع اللحظة الثورية على المستوى السياسي والاجتماعي بعد انحسار موجة ٢٠١١ الثورية، وهو ما تمثّل في حالة إحباط بين أرباب الإذاعات الأهلية وعزوف الجمهور عن المشاركة وصدور قانون (تنظيم الإعلام) الذي عرقل البث الإذاعي غير الرسمي.

ظهرت خلال السنوات الخمس الأخيرة كثيرٌ من التجارب الإعلامية في الأقاليم والمدن خارج القاهرة التي وظفت الأدوات الرقمية وشبكات التواصل الاجتماعي على الإنترنت لتداول الأخبار السياسية والمحلية المتلاحقة والتعليق عليها، وهو ما أخذ شكل المحطة الإذاعية بحيث اعتمدت على المحتوى الصوتي حصرياً. واتخذت هذه المبادرات طابعاً «شعبياً» أو «أهلياً»، بحيث اعتمدت في صناعة محتواها على أشخاص من غير محترفي الإعلام، ولم تستهدف الربحية من صناعة وترويج هذا المحتوى الإعلامي الذي تنتجه. وتوالى ظهور هذا النوع من «الإعلام الأهلي» في مصر منذ عام ٢٠٠٨. غير أن دراسة هذه الإذاعات غير الرسمية لم يكن لها حظاً وفيراً في الأدبيات الأكاديمية، وتركزت الأبحاث التي تناولتها على التجارب الأكثر شعبية أو الأسبق في الظهور، وجميعها تركزت في العاصمة المصرية القاهرة (على سبيل